



أصدر فصيلٌ من الفصائل الصغيرة في الغوطة الشرقية بياناً لا يتناسب مع حجمه، يقترح فيه إنشاء "جيش فتح" في الغوطة أسوةً بجيش فتح الشمال. وما علم الذين كتبوا البيان أن جيش الفتح في الشمال ليس سوى غرفة عمليات، فبماذا سيختلف عن غرفة عمليات القيادة الموحدة في الغوطة؟

لما ردت عليهم القيادة الموحدة بما هو حق ومنطق ظننا أنهم سيتقون الله في الغوطة المحاصرة التي لا تحتمل أي فرقة أو خلاف، وأنهم سيهتدون بهدي الرحمن فيضمون تشكيلهم المتواضع الذي لا يكاد يحسّ أهل الغوطة بأثره إلى الجماعة الكبيرة، فإذا بهم يصدرون بياناً آخر يدعون فيه إلى وحدة الكلمة والاعتصام بحبل الله، في محاولة جديدة لتسويق المشروع الغريب نفسه.

ولو أنهم عقلوا لوجهوا هذا البيان إلى أنفسهم، فمن الذي يطأب بالوحدة: الفصائل الكبرى في الغوطة التي اجتمعت في مشروع واحد، أم الفصيل الصغير الذي استقل وشَدَّ وفارق الجماعة؟ الفصيل الذي بلغ من مشاغبته على أهل الغوطة أن أعرض عن قضاياها الموحدَ الذي ضم محکمَها جميعاً ثم ذهب فأنشأ محكمة الضِّرار والتفریق؛ من الذي يطأب بالوحدة والاعتصام بحبل الله؟ ما أغربَ هذه العقولَ كيف تفكَر! وما أعجبَ هؤلاء الناس، إلى أي منطق يتحاكمون؟

فَلِمَّا دُعُوا إِلَى دُعُوتِهِمْ ذَاتِهَا، وَهِيَ تَرْكُ الشَّنْدُوزُ وَالْفَرْقَةُ وَالْإِقْبَالُ عَلَى الْجَمَاعَةِ، لَمَّا رُدَّتْ دُعُوتِهِمْ عَلَيْهِمْ أَصْدَرُوا بِيَانًا يقارنُ بَيْنَ مَا أَنْجَزَتْهُ غَرْفَةُ عَمَليَّاتِ جَيْشِ الْفَتْحِ فِي إِدْلِبِ وَمَا أَنْجَزَتْهُ فَصَائِلُ الْغَوْطَةِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ اجْتِمَاعِهَا عَلَى الْقِيَادَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ الْمُوحَدَةِ، لِيُثْبِتُوا الْحَاجَةَ إِلَى حلِّ تَلْكَ الْقِيَادَةِ وَإِنْشَاءِ قِيَادَةٍ جَدِيدَةٍ مُحَلَّهَا!

هَذِهِ الْمَقَارَنَةُ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ وَلَا نُشَرِّكُ إِلَّا إِصْرَارًا عَلَى الْفَتْنَةِ وَتَأْجِيجًا لَهَا فِي الْغَوْطَةِ الْأَبْيَّنِ الصَّامِدَةِ، وَالْدَّلِيلُ عَلَى سُوءِ الْقَصْدِ أَنَّهَا لَمْ تَذَكُّرْ أَهْمَّ إِنْجَازٍ لِفَصَائِلِ الْغَوْطَةِ الْكَبِيرِ، وَهُوَ الدِّفَاعُ عَنْهَا وَمَنْعُ الْعُدُوِّ مِنْ اجْتِيَاحِهَا وَالسُّيُطَرَةِ عَلَيْهَا، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ الْفَارَقِ الْكَبِيرِ فِي مِيزَانِ الْقُوَّةِ لِصَالِحِ الْعُدُوِّ، وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ قَلَّةِ الْمَوَارِدِ وَقَسْوَةِ الْمَحْنَةِ وَطُولِ الْحَصَارِ.

أَلِيسْ هَذَا إِنْجَازًا عَظِيمًا يَا مَنْ أَوْقَدْتَ نَارً "حَرْبَ الْبَيَانَاتِ"؟ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الْعُدُوَّ يَحْيِطُ بِالْغَوْطَةِ إِحْاطَةَ الْقَلَادَةِ بِالْعَنْقِ، وَأَنَّهُ مَا يَزَالُ جَادًا أَبْدًا فِي اقْتِحَامِهَا لِيَذْلِّ أَهْلَهَا الصَّامِدِينَ الْمُصَابِرِينَ وَيُذْيِقُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ؟ إِنَّ الْهَجُومَ النَّاجِحَ إِنْجَازٌ وَانْتِصَارٌ وَالْدِفَاعُ النَّاجِحَ إِنْجَازٌ وَانْتِصَارٌ، وَلَكِنَّ الْجَاهِلِينَ لَا يَعْلَمُونَ، أَوْ يَعْلَمُونَ ثُمَّ يَكَابِرُونَ وَيَتَجَاهِلُونَ.

ثُمَّ هَلْ يَجُوزُ أَنْ يُسَاوِيَ الْمُحَاصِرُونَ بِالْتَّلَقَاءِ، وَيُقَاسِ إِنْجَازُ الَّذِينَ تَأْتِيهِمْ إِمْدَادَاتُ السَّلَاحِ وَالذِّخِيرَةِ بِالْأَطْنَانِ بِإِنْجَازِ مِنْ يَبْيَقُونَ فِي الرِّبَاطِ وَمَعَ أَحْدُهُمْ طَلاقَاتٌ يَتِيمَاتٌ يَدْفَعُ بِهِنَّ عَنِ الْغَوْطَةِ جَحَافِلَ الطَّفَاهَةِ الْمُعْتَدِينَ؟

\* \* \*

لِمَصْلِحَةِ مِنْ أَوْقَدَتْ نَارُ هَذِهِ الْحَرْبِ، حَرْبَ الْبَيَانَاتِ؛ مَنْ الْمُسْتَفِيدُ؟ إِنَّ الْغَوْطَةَ الْمُحَاصَرَةَ لَا تَحْتَمِلُ هَذِهِ الْمَزَادِيَّاتِ وَهَذِهِ "الْأَوْلَادَنَاتِ"، وَإِنَّ سَلَامَةَ الْجَمَاعَةِ مَقْدَمَةٌ عَلَى الْأَسْمَاءِ وَالرَّايَاتِ، فَمَنْ كَانَ مَخْلُصًا حَقًا فَلِيَتَعَصَّمْ بِاللَّهِ وَبِالْجَمَاعَةِ، وَلِيَكُنْ دَاعِيَةً وَحْدَةً وَرَحْمَةً لَا دَاعِيَةً فَرْقَةً وَعَذَابً.

أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ هَذَا آخِرَ بَيَانٍ مِنْ بَيَانَاتِ الْفَتْنَةِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الرَّدَ عَلَيْهَا لَنْ يَكُونَ مَقْتَصِرًا عَلَى الْغَوْطَةِ وَجَنْدِهَا الْبَوَاسِلِ وَأَهْلِهَا الْمَيَامِينَ، بَلْ إِنَّهُ سَيَكُونُ فَرْضًا وَاجِبًا عَلَى أَهْلِ الثُّورَةِ أَجْمَعِينَ.

الزلزال السوري

المصادر: